مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 01 السنة 2022 ص 75 - 94

تاريخ الإرسال: 2020/09/28 تاريخ القبول: 2021/11/16
تاريخ النشر :2022/03/17

المنشآت المعمارية الحربية بمدينة شرشال خلال الحكم العثماني.

Military architectural construction in the city of cherchell durind the ottoman rule.

د.بوطبة محفوظ[1]، د.عريف كريم[2]
جامعة الجزائر2- معهد الآثار- (الجزائر)،[1]boutmah2080@yahoo.com
جامعة عنابة (الجزائر)، [2]karim.arif@hotmail.fr

ملخص:

تعرضنا في هذا البحث إلى دراسة مظاهر التحصين المعماري بمدينة شرشال من الناحية التاريخية والمعمارية، وفي ذلك إجابة على الإشكالية التالية: ماهي أشكال العمارة الحربية بمدينة شرشال خلال الحكم التركي لها، وفيما تتمثل العوامل المؤثرة في تخطيطها والخصائص المميزة لها؟

نهدف من هذا البحث إلى إبراز مكانة الجزائر العسكرية خلال الفترة الحديثة، إضافة إلى إثراء مجال البحث في العمارة العسكرية، وقد توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى أن تنوع العمارة الحربية بهذه المدينة مرتبط بأهمية موقعها في الإستراتيجية الأمنية والاقتصادية، وقد تأثرت في تخطيطها وتوزيعها بالعامل الجغرافي والأمني.

الكلمات المفتاحية: شرشال، أسوار، حصن، برج، ميناء.

abstract:

In this research, we examined the aspects of architectural fortification in the city of Cherchell from a historical and

architectural point of view, and in that answer problem: what are the types of military architecture in the city of Cherchell During her Turkish rule, and what are the influencing factors in her planningandcharacteristics?
We aim from this research to highlight Algeria's military position during the recent period. we concluded at the end of the study that the diversity of defensive architecture in the city is related to the importance of its location in the security and economic strategy, and its planning and distribution have been affected by the geographical and security factor.
Keywords: Cherchell, fences, fort, tower, port.

المؤلف المرسل: د.بوطبة محفوظ ، الإيميل: boutmah2080@yahoo.com

1.مقدمة:

ترتّب عن ضعف السّلطة الزيانية والحفصية بالمغرب الأوسط إقدام الأسبان على احتلال مدنها الساحلية لحماية مصالحها العسكرية والاقتصادية بالمنطقة نذكر منها مدينة شرشال سنة 1511م، وبقيت المدينة على هذه الحال إلى أن تمكّن الأتراك بقيادة عرّوج من تحريرها سنة 1516م، وبذلك تكون ثاني مدينة جزائرية تخضع لسلطة الأتراك بعد مدينة جيجل سنة 1514م.

واصل العدو خسارة مستعمراته بالمنطقة مقابل توسّع أملاك المنقذين الأتراك الذين طهروا الايالة الجزائرية من آخر معاقله بكل من وهران والمرسى الكبير أواخر القرن 18 م، وجاء هذا الإنجاز بعد صراع متصل وطويل امتد لقرابة ثلاثة قرون من الزمن، تعرّضت خلالها المدن الجزائرية لحملات عسكرية كثيرة لم تكن شرشال في معزل عنها خاصة مع قربها من مدينة الجزائر عاصمة الايالة.

نتج عن هذه الظروف الأمنية عمل السلطة الحاكمة بالبلاد على تطوير أنظمتها الدفاعية بما فيها التحصينات المعمارية، وقد نالت مدينة شرشال نصيبها من

هذه العملية التي تمثل موضوع بحثنا الذي سنحاول الإجابة فيه على الإشكالية التالية: ما هي أشكال العمارة الحربية بمدينة شرشال خلال الحكم التركي لها، مع تحديد العوامل المؤثرة في تخطيطها والخصائص المعمارية المميزة لها؟.

تطرقنا في هذا البحث إلى دراسة بنايات مختلفة من العمارة العسكرية ، انطلاقا من المادة الكتابية والمادية المتوفّرة معتمدين في ذلك على المنهج التاريخي والوصفي المناسبين لمثل هذه البحوث الأثرية.

نهدف من وراء هذه الدراسة إلى التعريف بالموروث المادي المعماري بالمدينة، وفي ذلك إثراء لمجال البحث في العمارة العسكرية التي تظل الأعمال المنجزة حولها محدودة مقارنة بالعمائر الأخرى رغم التاريخ العسكري الثري بالأحداث والحافل بالإنجازات للدولة الجزائرية في الفترة الحديثة، إضافة إلى توفّر المادة الأثرية التي تساعد في إثراء هذه الدراسات.

2.أسوار مدينة شرشال:

1.2تاريخ إنشاء السور:

لم تقم المصادر الجغرافية العربية التي تعرضت للمدينة بالوصف خلال الفترة الوسيطة بذكر إسوارها[1]، وقد ظلّت على هذه الصورة في الفترة المتأخرة من الحكم الإسلامي لها و دليلنا على ذلك ما جاء في كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان الفاسي القرن 9 هـ/16م، الذي اكتفى بوصف أسوار المدينة الرومانية بقوله:" هي مدينة كبيرة... شيدها الرومان ... وكانت دائرتها في القديم تكاد تبلغ ثمانية أميال و هو طول سورها الشاهق المبني بأحجار ضخمة منحوتة..." [2].

أمّا معاصره الراهب والجاسوس الاسباني "مارمول كاربخال" الذي زار شرشال خلال مدة إقامته بشمال إفريقيا فاقت العقدين من الزمن (1535– 1559م)، فقد أشار إلى معلومة هامة تفيد أنّه لا سور للمدينة بقوله: " ... و ليست المدينة في

وقتنا الحاضر محاطة بأسوار ... وضمانة حمايتها في عدد سكانها و شجاعتهم ...."[3]، عملا بمقولة " أسوارنا سيوفنا" التي اشتهر بها الموحدون في حروبهم ببلاد المغرب[4]، و قد أكّد ما جاء في النّص الأول الأسير الاسباني "هايدو" بمدينة الجزائر ما بين 1578-1581م عندما ذكر أنّ المدينة كانت غير محصّنة خلال حملة " أندري دوريا" عليها سنة 1531م[5]، و يبدوا أن تحصيناتها بما فيها الأسوار قد اكتملت على عهد الباشوات على أكثر تقدير و إلى ذلك أشار صاحب كتاب "النفحة المسكية" الذي زار مدينة شرشال في طريقه الى مدينة الجزائر بقوله: " ثم أرسينا على شرشال و هي بليدة حصينة كثيرة العمارة"[6].

بقي تاريخ أسوار المدينة غامضا إلى غاية القرن 18م و كانت حينها الايالة الجزائرية تحت حكم الدايات ، حيث قدّم الرّحالة الإنجليزي "شاو" الذي زار المدينة وصفا معماريّا وافيا لأسوارها ذكر فيه أنّها: " يحيط بها سور متين ارتفاعه 40 قدم مدعّم بأبراج، و يقدّر محيطه بثلاثة ارباع مرحلة"[7].

2.2 الوصف المعماري للسّور:

اعتمدنا في ظلّ انعدام المادة الكتابية و الأثرية على مجموعة من المخططات تعود إلى بداية الاحتلال الفرنسي للمدينة، و قد تبيّن من خلالها أن سور المدينة له شكل غير منتظم على شكل قوس مفتوح من الجهة البحرية على الميناء، متأثّرا في ذلك بالبنية الجغرافية و المعمارية لها.

ينطلق مسار السور من المعبر الذي يؤدّي إلى جزيرة جوانفيل في الجهة الغربية من المدينة، ليمتد بجانب البحر متخذا نفس مسار السور الروماني الذي لا نستبعد إعادة استغلال أجزاء منه كأجزاء مكملة للسور العثماني بهذه الواجهة من المدينة، حيث لا يزال الجزء السفلي منه قائما إذ يقدّر سمكه بـ1,1 م و بأسفله

فتحات وزّعت عليه بانتظام و بالتناوب، اثنتين في الأسفل و واحدة في الأعلى،دورها كسر أمواج البحر للتقليل من شدّتها عند اصطدامها بهيكل السور. (الشكل رقم 1)

الشكل 1: (رسم يوضح طريقة توزيع فتحات التنفس اسفل السور.)

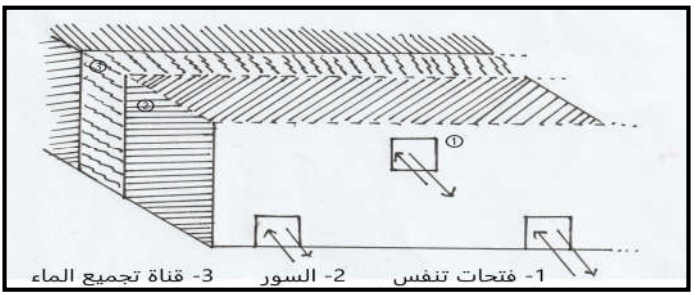

المصدر: من عمل الباحثين

يغيّر السور مساره قاطعا المنحدر الصخري صعودا متجها شرقا حيث محطّة الحافلات بالقطار، ثمّ ينحرف مرّة أخرى ليواصل مساره غربا في نفس الاتّجاه مع طريق القطار نحو باب الغرب، و قد عوض في هذا الجانب بالسور الفرنسي الذي لا يزال هيكله المعماري قائما بارتفاع 5م و بسمك 1م، و فتحت فيه مجموعة من المزاغل تفصل بين كل مزغل و أخر مسافة 2م.

ينكسر السور مرّة أخرى مغيّرا اتجاهه جنوبا ليتصل بباب الغرب و يواصل مساره من هذه الأخيرة محافظا على اتجاهه، و يتخلّل هذا الجزء منه عددا من الأبراج ويدعمه من الناحية البحرية جرف صخري شديد الانحدار.

يتخذ السور اتجاها مغايرا نحو الجهة الشرقية في وضعية أفقية غير منتظمة، و هو حاليا موجود في نطاق الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة، وتتخلّله مجموعة من الأبراج موزّعة على السور شرق و غرب باب مليانة.

يغيّر السور مساره من الجنوب نحو الشمال ليتصل بباب الجزائر شرق المدينة، و منها يستمر في نفس الاتجاه إلى أن يتصل بالمنحدر الصخري الشمالي

الذي استغل كنظام دفاعي طبيعي لامتيازه بالعلو و شدة الانحدار، و قد تخللت هذه الجهة من السوار على غرار الجهات الأخرى عدد من الأبراج واحد منها استغل كمخزن للبارود في الفترة الاستعمارية.

يتجه السور غربا ممتدا على حافة المنحدر الصخري الشمالي بجوار المتحف الوطني، ليتصل بالقلعة الأندلسية التي كانت تشغل موضعا من السّاحة العمومية. (الشكل رقم 2)

الشكل 2: مخطط يبين مسار سور المدينة ومواضع أبوابها خلال الفترتين القديمة و الحديثة.

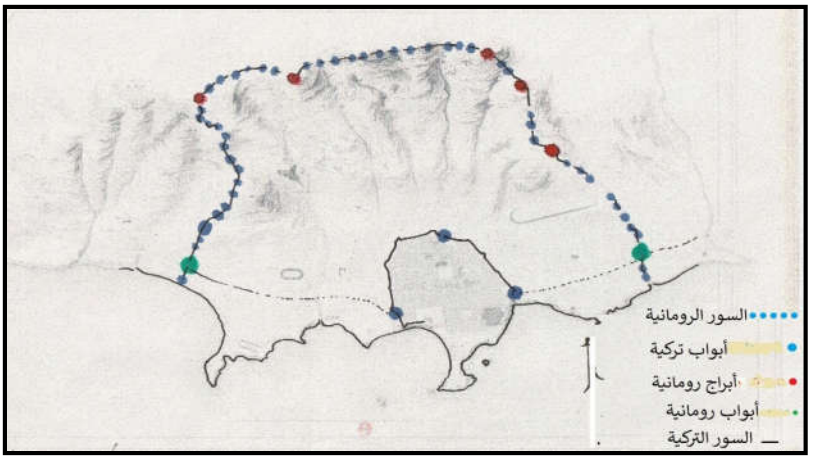

المصدر: Amable Ravoisie, 1840 ,p.46.

أمّا بالنسبة لمادة البناء، فقد استعملت مادة الطابية في تشكيل أجزائه العلوية، و شكلت أساساته بمختلف أنواع الحجارة التي جلببت من بقايا المباني و الأسوار الرومانية[8]، و هي نفس الطريقة التي اعتمدت في بناء أسوار بعض المدن البحرية التي تعود إلى نفس الفترة مثل مدينة الجزائر و مدينة برشك.[9]

3.2 أبواب المدينة:

ذكر "الدكتور شاو" أنّ لمدينة شرشال ثلاثة أبواب، واحدة باتجاه بني منّاصر واثنين منها ناحية البحر[10]، وهي نفسها التي تظهر في المخططات المعمارية للمدينة مع بداية الاحتلال الفرنسي لها، تحت اسم بباب مليانة جنوبا وباب تنس غربا و باب الجزائر شرقا[11].

1.3.2باب الجزائر:

يعرف بباب الدزاير أو باب الشرق وقد عرف كلاّ من باب مدينة تنس ومليانة بهذا الاسم، وترتبط تسميته بطريق دار السلطان التي كانت تصل مدينة شرشال بمدينة الجزائر.

2.3.2باب تنس:

يسمى حاليا بباب الغرب، و حسب مخطط نشره الدكتور سعيدوني لفحوص المدينة خلال العهد العثماني تبيّن من خلاله أنّه كان يحمل اسم باب وهران[12]، وقد عرف الباب الغربي لمدينة مليانة والباب الجنوبي لمدينة مستغانم[13]، والباب الغربي لمدينة معسكر خلال الحقبة الاستعمارية بهذا الاسم[14].

أطلقت هذه التسميّة على الباب نسبة إلى طريق دار السلطان الذي كان يربط بين غرب المدينة ومدينة تنس، وهو يقع في الناحيّة الغربية من السور محتلا مسار الطريق الوطني رقم11 العابر لمركز المدينة، في الوضعية نفسها تقريبا مع باب الجزائر ومتقدّما موضع باب المدينة الرومانيّة من الناحيّة الشرقيّة بمئات الأمتار[15].

الهيكل المعماري للباب غير أصلي أستبدل في الفترة الاستعمارية بهيكل أخر، يقدر ارتفاعه بحوالي 7,5م وعرضه ب4م وعمقه ب 4م، وشيّد كلّه بالحجارة الرملية والأجر الذي استعمل في بناء اطر المزاغل التي فتحت على جانبي الباب، وشكله مشابه لحدّ كبير لهيكل باب وهران بمليانة.[16]

3.3.2 باب مليانة:

يعرف عند بعض الباحثين بباب منّاصر[17]، وحسب الرواية الشفوية يقال إنّه كان يحمل اسم باب المطمر، وذلك نسبة إلى مطامير القمح التي كانت بالقرب منه، و سمي بباب مليانة نسبة إلى الطريق الثانوية التي تصل المدينة بمليانة، وهو بذلك بمثابة المعبر الرئيس للقادمين إلى شرشال من المنطقة الجنوبية عامّة ومليانة خاصّة، وهذا ليس بالأمر الغريب لأنّ مرفأ مليانة أي منفذها إلى البحر هي شرشال.[18]

3. حصون وأبراج مدينة شرشال:

1.3 القلعة الأندلسية:

1.1.3موقعها وتاريخ إنشائها:

اتّخذت موضعا شمال شرق المدينة أعلى المنحدر الصخري حيث الساحة العموميّة حاليّا بجوار المتحف الوطني، في مكان مشرف على الميناء[19].

يعود تاريخ إنشائها إلى ما قبل دخول الأتراك إلى المدينة سنة 1516 م، وأعيد استغلال عمارتها أكثر من مرّة، فقد ذكر الرحالة الألماني " هاينريش فون مالستان" أنّها من عمل البيزنطيين[20]، وقد تكون من بين الرباطات البحرية التي كانت تحمي المدينة منذ فترة متقدّمة من الحكم الإسلامي لها، وذلك استنادا إلى قول البكري القرن 5 هـ/11 م الذي ذكر أنّه كانت بالمدينة رباطات يجتمع إليها في كلّ عام خلق كثير[21]، وبعد سقوط غرناطة أواخر القرن 15 م، حلّ بشرشال جماعة من المهاجرين الأندلسيين و جدّدوا عمارة القلعة[22].

رغم أنّنا لا نملك دليلا ماديا أو كتابيا يشير إلى استمرار استغلال عمارة القلعة من طرف الأتراك، إلاّ أنّنا لا نستبعد ذلك، حيث ظلت عمارتها قائمة في

مخططات المدينة إلى غاية الحقبة الاستعمارية، وذلك نظرا للموقع الهام الذي كانت تحتله، حيث أهّلها لتوفير الحماية للمدينة وميناءها رفقة برج الترك[23].

2.1.3الوصف المعماري للقلعة:

بناء على مخطط للمدينة نشره ا. رفوزيي، اتضح لنا أن مخطط القلعة كان منتظما، ويتخلل ركنيها الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي برجين دائريا أو مضلّعا الشكل[24] على هيئة مخطط برج الترك بمدينة مستغانم، وقد شاع استعمال هذا النوع من الأبراج عند المسلمين خلال الفترة المرابطية والموحدية ببلاد المغرب والأندلس[25].

2.3 برج البحر:

1.2.3 موقعه وتاريخ إنشائه:

كان البرج يحتل موضعا بجزيرة جوانفيل بجوار فنار إرشاد السّفن[26]، حيث أقيم في نقطة حساسة من المدينة قصد حماية مينائها والواجهة البحرية لها[27]. أمّا تاريخ إنشائه فيبقى مجهولا، فحسب "ادريان بربريجر" يعود تاريخها إلى فترة سابقة من إنشاء برج بابا عروج[28]، وهذا ما يجعلنا نرجّح أنّه من بين الانجازات المعمارية للأندلسيين بالمدينة[29].

تواصل استغلال عمارة البرج من طرف جيش الاحتلال الفرنسي تحت اسم "حصن جوانفيل"، وكان ذلك في الفترة الممتدة ما بين 1840 و 1848م[30].

كان يعرف أيضا باسم "برج العسّة"، ويظهر ذلك من خلال مخطط للمدينة وضواحيها أعدّه الجنيرال "بولي" نقلا عن الطلبة الضباط للغرفة الملكية لقيادة أركان الجيش المؤرخ بمارس 1959م[31]، وورد أيضا باسم "حصن البحر" في مخطط نشره الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" لفحوص مدينة شرشال في العهد العثماني[32].

2.2.3 الوصف المعماري للبرج:

بعد أن طالعنا على مخطط لمواضع بناء البرج من إعداد "ا.رفوزيي" تمكنّا من تحديد شكله الذي كان خماسي الاضلاع[33]، كما استطعنا أن نتعرّف على مادة وتقنية بنائه انطلاقا من مخطط من إعداد "مونيي غاستون" مؤرخ بأواخر القرن19 م[34]، يظهر بوضوح استعمال المعماري للحجارة في بناء أساسات جدران البرج معتمدا في ذلك على تقنية الحشو. (الشكل رقم 3)

الشكل 3: بقايا برج البحر.

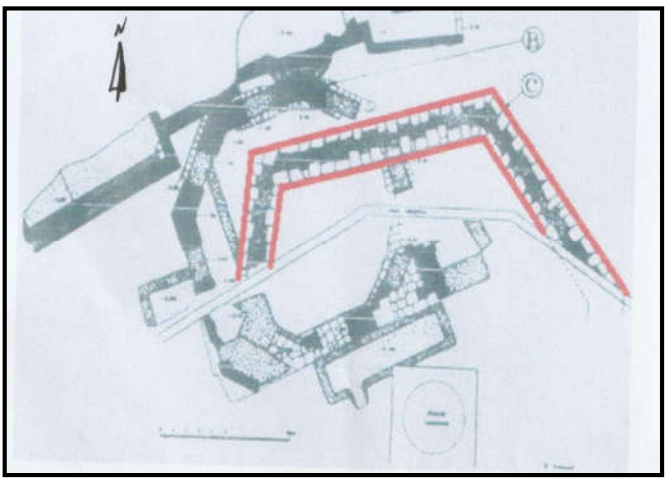

المصدر: الاسعد شوشان، 2010، ص.115.

3.3 برج شرشال:

1.3.3موقعه و تاريخه:

كان برج بابا عرّوج يحتل الركن الشمالي الغربي للساحة العمومية، حيث يوجد حاليا الموقف البلدي للسيارات أعلى المنحدر الصخري المطل على الميناء، وهو أقرب إليه مقارنة بالقلعة الأندلسية.

جاء في اللّوحة التأسيسية للبرج التي كانت تعلو مدخله، وهي من مكتشفات حفرية 1926م ومحفوظة حاليا بالمتحف الوطني بشرشال، أن البرج من عمل "محمود بن فارس الزكي" بأمر من القائد التركي " عروج بن يعقوب" سنة924هـ/1518م[35]، وتمّ هذا العمل بمساهمة الجند الأتراك والأهالي[36].

2.3.3نص الكتابة التأسيسية:

نفذ نص الكتابة على لوحة رخاميّة مربّعة الشكل بطريقة الحفر البارز وبخط عربي من نوع خط نسخ مغربي، وجاءت موزعة على ستة أسطر متوازية على الشكل الأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم.

صلّى الله على سيّدنا محمّد واله.

هذا برج شرشال أنشأه القائد محمود

بن فارس الزكي في خلافة الأمير القائم بأمر الله

المجاهد في سبيل الله أروج بن يعقوب بإذنه

بتاريخ أربع وعشرين وتسع مائة[37].

بناء على تاريخ بناء البرج، يعتبر من أقدم المباني الحربية التي خلّفها الأتراك بالأيالة الجزائرية[38]، وقد كان له دور دفاعي هام يتجلّى في صدّ الخطر الذي يحدق بالمدينة خاصة من الناحية البحرية، وذلك نظرا للموقع الاستراتيجي الذي يحتله، حيث يتيح للمدافعين إدراك الخطر على مسافات بعيدة، إضافة إلى تحصنهم فيه عند الدخول مع العدو في معركة غير متكافئة، مثل ما حدث في حملة "أندري دوريا" على المدينة سنة 1531 م، و التي احتمى حينها الجند بالبرج و انتهت بقهر العدو و رده على أعقابه[39].

كما أنّ موقعة المكشوف على الميناء و المنخفض مقارنة بتحصينات المدينة باستثناء برج البحر، يقلّص مجال الرماية و ينتج عنه الدفاع عن المدينة و مينائها عند أقرب نقطة ممكنة.

تواصل استغلال البرج في الحقبة الاستعمارية من طرف الفرنسيين تحت اسم الحصن الملكي[40]، إلى أن تم هدمه سنة 1860م[41]، و قد كانت عمارته منتظمة الشكل مشيدة بحجارة مصقولة كبيرة الحجم من بقايا المدينة القديمة.[42]

4.3 برج أنابود:

1.4.3 موقعه و تاريخه:

يحتل البرج موضعا في الجنوب الغربي من المدينة على جانب الطريق المؤدية إلى سيدي يحيى أعلى مقبرة المدينة، وقت ساعده موقعه المرتفع على مراقبة المدينة و السواحل البحرية الواسعة الممتدة من منطقة شنوة شرقا إلى تنس غربا[43]، و هو من المعالم الأثرية المصنفة وطنيا بمساحة تقدر بـ 220 م² [44].

تباينت الآراء حول تاريخ بنائه، فهناك من ينسبه إلى الأسبان الذين احتلوا المدينة سنة 1511م، و هذا ما استنتجناه من خلال مخطط للمدينة مؤرّخ بالفترة الاستعمارية، جاء فيه البرج باسم "برج اسباني"[(45)]، و هناك من ينسبه إلى الأتراك و لا نستبعد استغلالهم له، و استمر استخدامه من بعدهم من طرف جيش الاحتلال الفرنسي[(46)].

2.4.3 الوصف المعماري للبرج:

اتخذ البرج شكلا مستطيلا يقدر ارتفاعه إلى نهاية جداره الساتر ب 12 م وسمك جدرانه ب 0.5 م ، فتحت في واجهاته مجموعة من المزاغل وهي موزعة بانتظام على شكل صفوف متوازية و متقابلة في كلّ الواجهات.

يتكوّن البرج من طابقين، يتشكل الطابق الأرضي له من ثلاث وحدات، وتتخلل جدرانه إحدى عشرة فتحة منكسرة الشكل، وقد يكون سبب استعمالها لضرورة أمنية وذلك لقربها من الأرض، حيث تحجب كشف ما بداخل البرج، ويمكن أن يكون لتصميمها علاقة بوظيفة هذا الطابق في حفظ الذخيرة والبارود وذلك لتجنّب تعرّض هذه المواد مباشرة لأشعة الشمس. (الشكل رقم 4)

الشكل 4: الطابق الأرضي لبرج انابود.

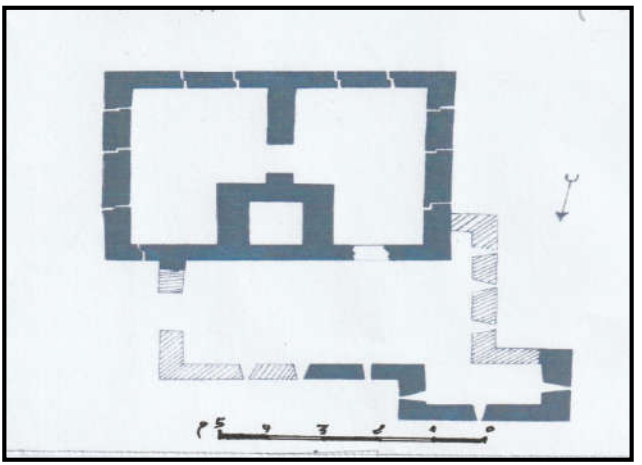

المصدر: من عمل الباحثين.

الطابق العلوي مماثل لسابقه من حيث المقاسات، وقد كانت به غرفة تشغل ركنه الجنوبي الشرقي، فتحت في جدرانه اثنتا عشرة مزغلا كانت مسيجة بشبابيك حديدية.

سقف البرج عبارة عن أقبية نصف برميلية تستند على عوارض حديدية، تتوسطه فتحة تؤدي إلى السطح حيث تحتل الركن الشمالي منه غرفة حراسة مربعة الشكل بارزة إلى الخارج على هيئة السقاطات في العمارة الحربية.

كما يحيط بالسطح جدار ساتر يتراوح ارتفاعه ما بين 2 و 3 م، فتحت فيه أربعة عشر مزغلا، ترتفع عن السطح ب1.30 م، وقد تعرض عدد منها للهدم. (الشكل رقم 5)

الشكل5: الطابق العلوي لبرج انابود

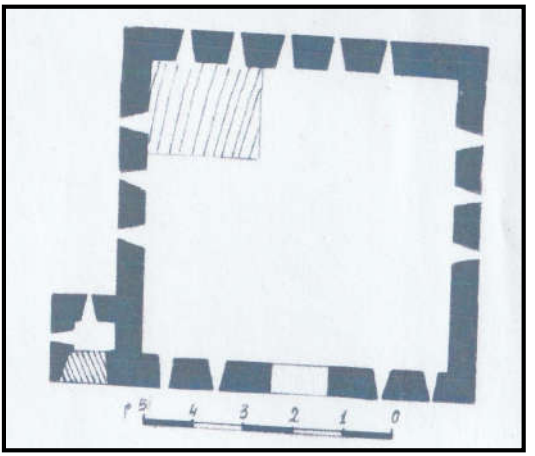

المصدر:(من عمل الباحثين)

يتصل بالواجهة الشمالية للبرج فناء مكشوف، تتميّز جدرانه بعدم الانتظام، نلج إليه عبر مدخل عرضه 1م يتوسط جداره الشرقي، وقد فتحت في كل من جداريه الغربي والشمالي مجموعة من المزاغل ترتفع عن سطح الأرض بـ 1.20 م.

استعملت في عمارة البرج مواد بناء متنوعة، تتقدمه الحجارة التي استخدمت بشكل واسع في بناء الجدران الخارجية والفاصلة، وهي مختلفة منها المشطوفة والدّبش، في حين استعملت الاسمنت كمادة لاحمة، وهذا دليل على أنّ عمارة البرج أعيد بناؤها في الحقبة الاستعمارية.

الأجر هو الآخر كثير الاستعمال خاصة على مستوى السقف وذلك لخفة وزنه، واستعمل أيضا في تشكيل أطر المزاغل وفي بناء غرفة الحراسة بالسطح، ووظف كمادة ثانوية إلى جانب الحجارة في بناء الجدران وتسويتها.

استخدم الحديد كعوارض حاملة لسقف البرج ولغرفة الحراسة، بالإضافة إلى تشكيل شبابيك المزاغل في الطابق العلوي والجدران المطوقة للفناء وكذلك في قنوات صرف المياه. (الشكل رقم 6)

الشكل 6: مزاغل الرماية والمراقبة.

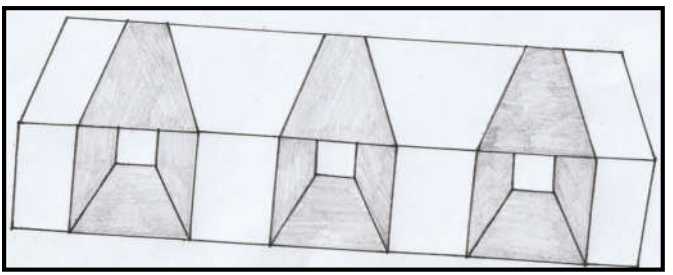

المصدر: من عمل الباحثين.

4. الميناء ودار الصناعة:

1.4 ميناء المدينة:

ميناء المدينة طبيعي ويشغل نفس موضع الميناء القديم، تعرّض خلال الحكم التركي لتعديلات بإنشاء رصيف له في نفس فترة بناء رصيف مدينة الجزائر، وقد كان هذا المشروع قائما منذ سنة 1516[47]، إلاّ أنه لم يتجسد على ارض الواقع إلى عهد خير الدين باشا بعد سنة 1530م[48].

يرتبط اهتمام الحكام الأتراك بميناء المدينة بالموقع الاستراتيجي الذي تحتله، وذلك لقربها من مدينة الجزائر، ما جعل منها قاعدة بحرية تتدعم بها البحرية الجزائرية بكل من مدينة الجزائر وجيجل في ظل تأخر بسط نفوذهم على عدد من المدن البحرية الهامة[49] .

كما يتصل ذلك بقرب شرشال من جزر البليار وإسبانيا، وذلك لدعم عمليات الجهاد البحري وانعكاس ذلك إيجابيا على الجانب الاقتصادي من خلال المساهمة في المبادلات التجارية بين موانئ الضفتين[50].

2.4 دار الصناعة:

يعود تاريخ إنشاء دار الصناعة بشرشال إلى أواخر القرن 15 م، على يد الأندلسيين الذين هاجروا إلى المدينة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م حسب ما جاء في كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان الفاسي[51]، وقد ساعد على قيام هذا النشاط وفرة المادة الخشبية بالمنطقة[52].

5.الخاتمة:

بعد أن أحطنا موضوع البحث من النّاحية التاريخية والمعمارية بالدّراسة خلصنا إلى أنّ اهتمام الحكام الأتراك بتحصين مدينة شرشال نابع من أهميتها، كونها مدينة بحرية في مطمع العدو إضافة إلى موقعها الاستراتيجي الذي جعل منها قاعدة إمداد وإسناد للجيش الجزائري عند الحاجة من جهة ومحطة من محطّات التبادل التجاري البحري المحلي والخارجي من جهة أخرى وذلك لقربها من سواحل بعض دول جنوب أوربا.

تبين لنا من الدراسة التاريخية للبنايات العسكرية بالمدينة أنّ النّظام الدفاعي المعماري لها كان قائما منذ فترة سابقة للحكم التركي، مثل القلعة الأندلسية وحصن البحر وبرج انابود ودار صناعة السفن بالميناء، وقد اكتمل تحصينها بتدعيما للنقاط الضعيفة منها بتشييد الأسوار وبناء برج شرشال.

استمرار استغلال المباني الحربية خلال فترات مختلفة امتد بعضها إلى الفترات المعاصرة أو مواضعها كبرج البحر، وذلك لأهمية مواضعها في النّظام

الدفاعي للمدينة، والذي لم ولن تفقده بمرور الزمن أو تغيير في الأنظمة الحاكمة وتطور التكنولوجية الحربية.

سجّلنا تنوعا في مظاهر التحصين المعماري للمدينة، حيث جاءت موزعة بشكل يضمن أداء وظيفتها الدفاعية مستفيدة في ذلك بالبنية الجغرافية للمدينة، ومتأثرة بالأوضاع الأمنية الخارجية، حيث يتمركز معظمها بالواجهة البحرية بجوانب الميناء حيث يحدق بها الخطر الأجنبي، مقابل تواضع التحصينات الخلفية لها التي اقتصرت على الأسوار وبرج أنابود الذي يحتل أعلى نقطة بالمدينة مقارنة بباقي التحصينات، يمكن من خلاله مراقبة الواجهة البحرية لمسافات بعيدة.

رغم أنّ النّظام الدفاعي المعماري للمدينة استطاع أن يوفّر الحماية لها على امتداد الحكم التركي لها، إلا انه اعترته بعض العيوب كترك المرتفعات الجنوبية باتجاه سيدي يحيى حيث المسلك النافذ إلى قبائل بني مناصر وملیانة غير محمية، حيث اكتفت الأسوار بتطويق المجال العمراني فقط على عكس المدينة الرومانية التي احتضنت أسوارها أعالي المدينة مدعمة بعدد من البروج الحائطية.

يعتبر هذا الخلل خطأ في الإستراتيجية الدفاعية، مخالفا لأبجديات العمارة العسكرية التي تنص على جعل المرتفعات المشرفة على المدن داخل أسوارها، أو إقامة بنايات معمارية مستقلة بها تقطع الطريق أمام العدو في استعمالها ضد المدنية خاصة في ظل ظهور سلاح المدفعية، وقد كلّفت نفس الأخطاء الدفاعية خسارة عدد من المدن الجزائرية لصالح الاحتلال الفرنسي نذكر منها مدينة الجزائر ومدينة قسنطينة.

6.الهوامش:

6. 1قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص.78. وأبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار

الكتب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.، ص.81-82. و ابو عبيد الله الشريف الادريسي، المغرب و أرض السودان و مصر والاندلس، مطبعة بريل، ليدن،1863، ص..89

2- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج.2، دار المغرب الإسلامي، ط.2، بيروت، لبنان، 1983، ص.34.

3- مارمول كربخال، إفريقيا، ج.2 مكتبة المعارف للنشر، الرباط، المغرب،1989، ص.356

4-روجي لوطورنو، 1992، فاس قبل الحماية، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص..87

5- Fray Diego De Haedo, Histoire des rois d'Alger , Adolphe jourdan, Alger, 1881,p.44-45.

6- محمّد الجزولي التمجروتي، النفحةالمسكية في السفارة التركية، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس، د.ت.، ص..18

7- Dr.Shaw : voyage dans la régence d Alger ,paris ,France, 1830,p.269.

8- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية و الكتابية، أطروحة دكتوراه في الاثار الإسلامية، معهد الاثار،جامعة الجزائر2، 2017-2018، ص..284

9- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص..34

10- Dr.Shaw,Op.cit. ,p.269.

11- Amable Ravoisié, Exploration scientifique de L Algerie pendant les années 1840,1841,1842, paris, France, S.D.,p.46.

12- Nacer Eddine Saidouni , L' Algérais rural a la fin de l époque ottomane (1791-1830), Dar-El-Gharb Al-Islami, Beyrouth, 2001,p.551.

13- بوعبد الله بلجوزي، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجيستير في الاثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص..101

14- بوعبد لله بلجوزي، اثار عمران حواضر بايلك الغرب في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في الاثار الإسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، 2012-2013، ص.318.

15- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص..285

16- نفسه، ص..286

17- Nacer Eddine Saidouni,Op.cit.,p.80.

18- اسماعيل العربي، حكومة الامير عبد القادر ادارتها ومهامها، مجلة الثقافة، العدد، 75، 1983، ص..222

19- Amable Ravoisie, Op.cit., p.46.

20- هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غرب افريقيا، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت.، ص..168

21- أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ص..82

22- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص.34.و مارمول كربخال، المصدر السابق، ص..356

23- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص..288

24- Amable Ravoisie , Op.cit., p.46.

25- عبد العزيز سالم، المساجد و القصور في الاندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1986، ص. 162.

26- Amable Ravoisie , Op.cit., p.50.

27- محفوظ بوطبة، دراسة اثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، 2008-2009، ص. 131.

28- Adrien Berbrugger, Le fort de Cherchell, in : Revue Africaine, 1865, pp. 202-206.

29- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة ...، المرجع السابق، ص..288

30- Adrien Berbugger, Op.cit. p. 203.

31-أرشيف حصن 23، شرشال، العلبة رقم 2.

32- Nacer Eddine Saidouni, Op.cit. , p.551.

33- Amable Ravoisie, Op. cit. , p.50.

34- الاسعد شوشان،الموانئ و المراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، رسالة ماجيستير في علوم التراث، جامعة تونس، تونس، 2009-2010، ص. 115.

35- Stéphane Gsell , Cherchell antique, Paris, 1952, p.31.

36- Adrien Berbrugger, Op.cit., p.205.

37- Gabriel Colin,Corpus des inscriptions arabes et turques de L Algérie, Ernest Leroux, Paris, France, 1901,p. 11-12.

38- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص..291

39- AdrienBerbrugger ,Op. cit., p.205-206.

40- Idem., p.202.

41- عزيز سامح ألتر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، دار النهضة العربية، ط. 1، 1989، ص..68

42- Adrien Berbrugger , Ibid, p.205-206.

43- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص.291.

44- أرشيف حصن 23، شرشال، العلبة رقم .02

45- نفسه.

46- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص. .135

47- مارمول كربخال، المصد السابق، ص. .366

48- Dr.Shaw , Op.cit. , p.271.

49- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة . ..،ص..297

50- Fray Diego De Haedo, Op. cit. ,p.80.

51- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص..34

52- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص.368.